

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد في الأولى والآخرة ، وصف نفسه بأنه الغفور الودود فقال : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ [١٤] ، ووصفه أنبيأؤه خير من عرفوا عظيم مودته ومحبته ، فقال شعيب عليه السلام : ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٩٠] ، سبحانه ، يحب أهل طاعته ، ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، ووعد أحبابه بأن يلقي حبهم في قلوب الناس ، ويكتب لهم القبول ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عليه السلام ، أحب خلق الله إلى الله ، القائل : « أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس ... » ^(١) ، فاللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله ، وارض عن جميع أصحابه ، وعنا معهم يا أرحم الراحمين .

أما بعد :

فإن ديننا الحنيف تنبني تشريعاته على مجموعة من المقاصد والحكم ، أكثرها تهدف إلى تحقيق وحفظ مصالح الناس العامة ، بجلب المنافع لهم ودرء المفساد عنهم ، « وهذا يعني أن الأعمال الشرعية ليست مقصودة في ذاتها ، وإنما قصد منها تحقيق المصالح التي شرعت لها » ^(٢) .

• وهذا ما أكده الإمام العزّين عبد السلام بقوله : « والشريعة كلها مصالح : إما تدرأ مفساداً أو تجلب مصالحاً » ^(٣) ، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال :

(٢) انظر : الشاطبي : الموافقات ٢ / ٣٨٥ .

(١) السلسلة الصحيحة للالباني برقم ٩٠٦ .

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١ / ١١ .

« إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها »^(١).

❁ ولقد جاءت شريعتنا الغراء - أيضاً - وهي تُقدِّم المصلحة العامة للجماعة على المصلحة الفردية ، لأن المصلحة العامة يعمُّ نفعها كل أفراد المجتمع ، وأما المصلحة الخاصة فقد لا يتجاوز نفعها مَنْ حصلت له .

❁ وهذه المقاصد الشرعية العظيمة لا بد لها من وسائل لتحقيقها والوصول إليها ، ومن رحمة الله - تعالى - أنه وضَّح المقاصد والوسائل ، ومع هذا التوضيح الشافي الكافي : ترغيب وترهيب لتحقيق المصالح والمنافع ، ودفع المفاسد والمضار .

❁ **فعلى سبيل المثال** : تعليم الناس ومحو جهالتهم ، مقصد شرعي من أهم المقاصد ، ومصالحة ومنفعة راجحة كل الرجحان ، جاءت عشرات الأحاديث النبوية الشريفة تُرغِّب في تحقيق هذا المقصد ، وترفع شأن من يحقق هذا المقصد وتُعظِّم أجره ، ومثلها أحاديث تُحذِّر من إهمال تحقيق هذا المقصد ، بكتمان العلم أو عدم البيان .

❁ **مثال آخر** : توفير القوت لعيش آمن رغد ، بعيداً عن المجاعات ... مقصد هام - أيضاً - جاءت عشرات النصوص الشرعية التي ترغِّب في تحقيقه ، بالحثُّ على الزرع وإصلاح الأرض الموات ، وتنهى عن إتلاف الأراضي الصالحة .

❁ **مثال آخر** : توفير الأمن والاستقرار والنظام للمجتمع ، بالأخذ على أيدي العابثين والظالمين ، ونصرة المظلومين ودفع الظلم عنهم ، وإقامة العدل ، مقصد شرعي في غاية الأهمية ، ورد فيه العديد من النصوص ترغيباً وترهيباً من أجل دفع الناس إلى تحقيقه والحذر من إهماله وتضييعه .

❁ وهكذا نجد الشريعة - الغراء - تحيِّط المقاصد والوسائل بهذا المنهج التربوي العميق ، في دعوة الناس لتحقيق هذه المقاصد الشرعية لتحصيل المصالح والمنافع ، ودرء المفاسد ، وهذا كله لتوفير جوٍّ مناسب للإنسان المؤمن ليعبد الله تعالى بكل

ما ارتضاه وشرعه من العبادة، علماً بأن المقاصد ووسائلها تعتبر من العبادات أيضاً. **●** والمتتبع للتراث الضخم عندنا يجد كثيراً من الكتب التي قد ركزت على جمع النصوص في هذا الجانب - أعني الترغيب والترهيب - لتوفير وجبة علمية غزيرة لدفع الناس وتفعيلهم ، نحو تحقيق المصالح والمنافع ، ودرء المفاصد والمضار ، ومن ذلك « الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ، الأدب المفرد للبخاري ، المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدمياطي ، الكبائر للذهبي ، رياض الصالحين للنووي ، قضاء حوائج الناس لابن أبي الدنيا ... وغير ذلك » .

ولعل أهمها على الإطلاق كتاب : الترغيب والترهيب للمنذري ، والذي قال عنه الشيخ الألباني - رحمه الله - « إنه ليس بخافٍ على أحد من أهل العلم أن كتاب الترغيب والترهيب ، هو أجمع وأنفع ما أُلّف في موضوعه ، فقد أحاط فيه - أو كاد - بما تفرق في بطون الكتب الستة وغيرها من أحاديث الترغيب والترهيب في مختلف أبواب الشريعة الغراء ... مما لا يكاد يستغني عنه واعظ أو مرشد ولا خطيب أو مدرس ، وقد أجاد ترتيبه وتصنيفه ، وأحسن جمعه وتأليفه ، فاستحق بذلك أن يصفه الحافظ الذهبي النقاد : بأنه كتاب نفيس » (١) .

● وبالتالي لو وُجِدَت دراسات تُعني بالدمج بين المقاصد الشرعية « كناحية أصولية » وبين المادة الغزيرة الواردة في السُّنة النبوية ، في أسلوب وعظي ، يخاطب القلوب بعيداً عن المنهجيات الجافة في كثير من الأحيان ، لربما كان لمثل هذه الدراسات أثر جيّد في تفعيل الأمة نحو فعل الخير العام والخاص ، وتحقيق المقاصد الشرعية المحترمة .

● ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة المتواضعة ، من ذي جهد مُقلّ ، جعلت الأصل فيها : الإرشاد إلى الأعمال التي تحقق النفع العام لأفراد المجتمع ، وفي نفس الوقت تقرّبهم إلى الله - تعالى - ، وقد جمع هذا الأصل قولُ النبي ﷺ :

« أحب الخلق إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم ... » (١) .

❁ والملاحظ : أن من المهم أن يعرف الإنسان المدعو للعمل وللنفع ، موقع العمل الذي يُدعى للقيام به من الأحكام الشرعية ، حتى يحدّد أولوياته واهتماماته في العمل ، بقدر الإمكان .

❁ وأهم الأعمال ما كان في موقع الوجوب ، ينبغي أن يُبادر للقيام به ، والواجب له تقسيمات بعدة اعتبارات، يعيننا هنا تقسيمه باعتبار المكلف بأدائه، وينقسم إلى قسمين : واجب عيني ، وواجب كفائي ، وفي الغالب كانت المنفعة المترتبة على القيام بالواجبات العينية مصلحة فردية تعود على من قام به فقط ، لأنها شُرعت لابتلاء المكلفين ، فإن قاموا بها كان نفعها لهم ، وإن قصرُوا كان الوزر عليهم ، وأما الواجبات الكفائية ، فإن تحقيقها يحقق المصلحة العامة، ومتى تحققت المصلحة العامة برئت ذمة المكلفين جميعاً (٢) .

❁ ونخلص من هذا : إلى أن الأمة لو حرصت على إحياء الواجبات الكفائية وفهمت حدودها فهماً دقيقاً ، لوجدت المخارج لحلّ أزماتها ، ولنهضت في شتى مجالات الإصلاح والتنمية ، ولكن هذا يحتاج لبلوغه إلى جهود وحملات مكثفة من التوعية الصادقة ، من الكُتّاب والمفكرين والإعلاميين والخطباء والمدرسين ... في كافة القطاعات .

وجدير بالذكر أنني قد شاركت في إجراء دراسة ميدانية قامت بها مؤسسة أنداء للإنتاج الفني والتوزيع، لاستطلاع مدى جاهزية واستعداد المجتمع للتفاعل ، وكانت النتائج بفضل الله مبهرة للغاية ، تشير إلى أن معدّل الجاهزية والاستعداد مرتفع (٣) ، فالناس بحاجة إلى من يُفعلهم باستمرار ، ويتابع سيرهم بالتوجيه

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر : د . عبد الباقي عبد الكبير : إحياء الفروض الكفائية ... ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) سيأتي عرض شامل لنتائج تلك الدراسة في هذا البحث .

والتخطيط ، بحاجة إلى قائد يحسن قيادتهم في كافة المجالات ، ويتحلى بصفات القائد ، والتي من أهمها إنكار الذات، وهذا ما يركز دائماً كثير من الإخوة الأفاضل من الدعاة اليوم عليه في تفعيل الأمة .

وقد اخترت عنوان هذا الكتاب [أحبهم أنفعهم] ، تيمناً بكلام النبي ﷺ وقسمته إلى عشرين مبحث وخاتمة :

- المبحث الأول : شحنه نبوية لتفعيل المسلم نحو نفع إخوانه بما يستطيع .
- المبحث الثاني : هل تدري معنى « أحب الخلق إلى الله ؟ » .
- المبحث الثالث : ثمرات محبة الله تعالى .
- المبحث الرابع : إحياء الواجبات الكفائية وأثره في نفع الأمة .
- المبحث الخامس : نفع الناس بالتعليم نحو جهالتهم .
- المبحث السادس : نفع الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المبحث السابع : نفع الناس بتوعيتهم وتصحيح المفاهيم لهم .
- المبحث الثامن : نفع الناس بالزرع والغرس .
- المبحث التاسع : نفع الناس بمواساتهم وإعانتهم في أمراضهم .
- المبحث العاشر : نفع الناس بقضاء ديونهم والتجاوز عنهم .
- المبحث الحادي عشر : نفع الناس بستر عوراتهم .
- المبحث الثاني عشر : نفع المسلمين بالدعاء لهم بظهور الغيب .
- المبحث الثالث عشر : نفع الناس بإمطة الأذى عن الأماكن العامة .
- المبحث الرابع عشر : نفع الناس بإقامة الحدود لتوفير الأمن لهم .
- المبحث الخامس عشر : نفع الناس بالإصلاح بينهم .
- المبحث السادس عشر : نفع الناس بدفع الظلم عنهم .
- المبحث السابع عشر : نفع الناس بالشفاعة لهم .

